من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي انهم يحسنون اللسان
العربي فادعا خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه
صلى الله عليه وسلم من ارسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم
قال بعضهم مدعوون في الاية ايضا وانهم لا يقدرون على معارضته
اي وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم
وعلى كل فلم يستطع احد من الفريقين بل الثلاثة في زمنه صلى
الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل سورة او بمثل اية منه على
نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال
والاخبار بالمغيبات والدلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة
وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا وحينئذ فهلا هي في الاصل للتحضيض والمراد بها
هنا التهكم ونظيره من حيث انه لولا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما للك
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة الاية فهي هنا
للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا للتوبيخ من يزعم امكان المعارضة
كبعض اهل الضلالة والالحاد بأتي ببعضها اي الاية والمراد
بعضها المفيد وفي نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود
ضميره على ما ذكرته الاية واعاده على القران وما قلناه ابلغ
البلغا جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى
خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي
ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام
لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او
المحكي من تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او مجاز او فصل ووصل

ط

٢١٢

كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد
الكلام البليغ غير محتاج الى تعقيب او استدراك وافاد الناظم
رحمه الله تعالى بهذا ان البلغا والشعراء فضلا عن غيرهم مع انهم
العرب الفصحا والخطباء البلغا والشعراء الفهما في قريش وغيرهم
والمتقدمون في اللسان والبيان والروسا في قوانين المعاني و
البيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في تهامة
البلاغة اظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن
المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك اعجب في الاية واوضح في
الدلالة من احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى
عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون
علمه وقريش كانوا على العجم ومنتهى طلبهم التفنن في افنية
الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب
الخطابة واساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما
هو لكونه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين رسالته
وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا
وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزمة
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته
مع قدرتهم عليها فطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم
وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما
كان مستورا وقال لهم ان زعمتم انه افتريته لعلمي باخبار الامم
فاتوا بمفترى مثله فلم يوم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا
تكلف متصنع ولا لم يظهر وجد من يستجيبه ويحامي عليه ويزعم
بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)